

الباب الثالث

المترادفات من ألفاظ القرآن وعلاقتها بأغراض تدريس اللغة العربية

(دراسة تحليلية دلالية عن كلمات البخل والشح والضمنّ في القرآن

الكريم)

أ - تقديم البيانات

حصل الباحث على أن كلمة "البخل" واشتقاقها في القرآن تذكر اثنتا عشرة مرة،

وكلها بصيغة الفعل إلا في الموضوعين يعني في سورة النساء والحديد وتذكر هناك بصيغة

الإسم، وكلمة الشح واشتقاقها في القرآن، فقد ذكرت خمس مرات ، والضمنّ في القرآن

فقد ذكر مرة واحدة بصيغة اسم الصفة المشبهة باسم الفاعل،¹ كما سيأتي بيانها:

1 - عن كلمة البخل.

(1) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ

هُم سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...

(2) الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ...

¹عبد الباقي، المعجم المنهوس لألفاظ القرآن، (قاهرة: دار الحديث، 1417 هـ)، ص. 141، و 461، و 521

- (3) الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ.
- (4) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخُلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ.
- (5) إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخُلُوا وَيُخْرِجْ أَضْعَانَكُمْ.
- (6) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْعَنِيُّ...
- (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَعْتَى.

2 - عن كلمة الشح.

- (1) ... وَأَحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ...
- (2) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُعْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَ شِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ...

- (3) ... وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.
- (4) ... وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

3 - عن كلمة الضن.

- (1) وَمَا هُوَ عَلَى الْعَيْبِ بِضَنِينٍ.

ب - تحليل البيانات

1 - عن كلمة البخل.

1) آل عمران: 180

- وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...

في هذه الآية وجد صيغتان للبخل وهما بصيغة الفعل المضارع والماض يَبْخُلُونَ

وبَخَلُوا، وجمهور المفسرين رأوا أنها أنزلت في مانعي الزكاة، وروى عطية عن ابن عباس أن

الآية نزلت في أخبار اليهود الذين كتموا صفة محمد. ² والمعنى ولا يظن أحد أن بخل

الذين يبخلون بما حباهم الله من فضله خير لهم كما يتوهمون أن كنز المال ينفع في

الملمات وأن الجود يفقر، لا : بل هو شر. ³

2) النساء: 37.

- الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ...

وفي هذه الآية وجد صيغتان للبخل بصيغة بفعل المضارع وصيغة بلاسم هما

يَبْخُلُونَ والْبُخْلُ، وسبب نزول الآية ما أخرجه ابن إسحق وابن جرير وابن المنذر بسند

² وهبة الزحيلي، التفسير المنير، الطبعة العاشرة، مجلد الثاني، (دمشق: دار الفكر، 2009 م)، ص. 507

³ محمد محمود حجازي، التفسير الواضح، الطبعة العاشرة، المجلد الأول، (بيروت: دار الجميل، 1993 م)، ص. 314

صحيح عن ابن عباس قال: كان كردم بن زيد وأصحابه يأتون رجالا من الأنصار يتنصحنون لهم فيقولون لهم: لا تنفقوا أموالكم فإننا نخشى عليكم الفقر في ذهابها ولا تسارعوا في النفقة فإنكم لا تدركون ما يكون.⁴ والمعنى ذاماً الذين يبخلون بأموالهم أن ينفقوها فيما أمرهم الله به من بر الوالدين والإحسان إلى الأقارب، واليتامى، والمساكين، والجار ذي القربى، والجار الجنب، والصاحب بالجنب، وابن السبيل، وما ملكت أيمانكم من الأرقاء، ولا يدفعون حق الله فيها، ويأمرون الناس بالبخل أيضاً.⁵

3) الحديد: 24

• الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ.

فيها أيضا وجد صيغتان كما في سورة النساء، والمعنى والله لا يحب كل مختال فخور، الباخلين بما أوتوا في الدنيا على احتيالهم به وفخرهم بذلك على الناس، فهم يبخلون بإخراج حق الله الذي أوجبهم عليهم فيه، ويشحون به، وهم مع بخلهم أيضا يأمرون الناس بالبخل.⁶

4) التوبة: 76

5) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ.

⁴ شهاب الدين الألوسي، روح المعاني، الجزء الخامس، (بيروت: دار الفكر، 1993م)، ص. 45

⁵ محمد علي الصبوي، مختصر ابن كثير، مجلد الأول، (دمشق: دار النوير)، ص. 390

⁶ أبو جعفر الطبري، تفسير الطبري، الطبع الخامس المجلد الحادي عشر، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2009م)، ص.

وفي هذه الآية وجد صيغة للبخل بصيغة فعل الماض وهي بخلوا، هذه الآية نزلت

في ثعلبة بن حاطب الأنصاري.⁷ تفسيرها: لما أعطاهم ما طلبوا من الرزق بخلوا به: أي

بما آتاهم من فضله فلم يتصدقوا بشيء منه كما حلفوا به.⁸

6) محمد: 37

• **إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُخْفِكُمْ تَبْخُلُوا وَيُخْرِجَ أَضْعَانَكُمْ.**

وفي هذه الآية وجد ثلث صيغ للبخل كلها بصيغة الفعل المضارع، والمعنى إن

يطلب منكم ربحكم نفقة أموالكم كلها في جهاد عدوه فيلح عليكم في ذلك تبخلوا،⁹ }

يُخْرِجَ أَضْعَانَكُمْ { أي : يظهر بغضكم وعداوتكم لله ورسوله.¹⁰

7) محمد: 38

• **هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا**

يَبْخُلُ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْعَنِيُّ...

وفي هذه الآية وجد ثلث صيغ للبخل كلها بصيغة الفعل المضارع، تفسيرها: "ها

أنتم هؤؤلاء تدعون أي هأنتم هؤؤلاء أيها المؤمنون تدعون "لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ" أي في

⁷ أبو محمد الأندلسي، المحرر الوجيز، الطبعة الأولى، الجزء الثالث، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2007م)، ص. 61

⁸ محمد الشركاني، فتح القدير، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، (بيروت: دار الفكر، 1992م)، ص. 559

⁹ أبو محمد مكي القيسي، الهداية إلى بلوغ النهاية، (المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث، 2.12)، ص. 6921

¹⁰ أبو علي الطبرسي، مجموع البيان، مجلد الخامس، (مطبعة العرفان، 1937م)، ص. 108

الجهاد وطريق الخير. "فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلُ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَّفْسِهِ" أي على

نفسه، أي يمنعها الأجر والثواب. "وَاللَّهُ الْعَنِي" أي إنه ليس بمحتاج إلى أموالكم.¹¹

8) اليل: 8

• وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَعْنَى.

وفي هذه الآية وجد صيغة وهي بفعل الماضي، وسبب نزولها ما اخرج ابن أبي حاتم

عن ابن عباس ان رجلا كانت له نخلة فرعها في دار رجل فقير ذي عيال، وكان الرجل

إذا جاء فدخل الدار، فصعد إلى النخلة ليأخذ منها التمر، ربما سقطت التمرة، فيأخذها

صبيان الفقير، فينزل الرجل من نخلته حتى يأخذها التمرة من أيديهم، وإن وجدها في فم

أحدهم أدخل أصبعه حتى يخرج التمرة من فمه.¹² وتفسيرها بخل بالنفقة في سبيل الله،

واستغنى عن ربه فلم يرغب في العمل بطاعته وما يوجب له رضاء ربه.¹³

2 - عن كلمة الشح

1) النساء: 128

• ... وَأَحْضِرْتَ الْأَنْفُسَ الشُّحَّ ...

¹¹ القرطبي، الجامع الأحكام القرآن، الجزء الخامس عشر، (بيروت: دار الفكر، 1995م)، ص. 235

¹² محمد الأمين المرزوي، حقائق الروح والريحان، الطبعة الثالثة، المجلد الثاني والثلاثون، (بيروت: دار طوق النجاة،

2008م)، ص. 59

¹³ أبو محمد مكّي القيسي، مرجع سابق، ص. 8312

في هذه الآية وجد صيغة للشح بصيغة الإسم وهو الشح، وسبب نزولها ما أخرج ابن جرير قال: جاءت امرأة حين نزلت هذه الآية { وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا } قالت: إني أريد أن تقسم لي من نفقتك، وقد كانت رضيت أن يدعها فلا يطلقها ولا يأتيها، فأنزل الله { وأحضرت الأنفس الشح }¹⁴ وتفسيرها جعل الشح حاضرا لها لا يغيب عنها أبدا، ولاتفك عنها، والمعنى هنا أن المرأة لا يكاد تسمح بقسمها أو بشيء لها، والرجل لا يكاد يسمح بأن يقسم لها أو بشيء إذا رغب عنها.¹⁵

(2) الأحزاب: 19

• أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ...

وفي هذه الآية وجد صيغتان للشح بصيغة الإسم، هما أَشْحَةً، وتفسيرها أَشْحَةً عَلَيْكُمْ: أي حالة كونهم بخلا، عليكم لا يعاونوكم بحفر الخندق، ولا بالنفقة والنصرة في

¹⁴احم الصاوي، تفسير الصاوي، الجزء الأول، (بيروت: دار الفكر، 2002م)، ص. 331

¹⁵سعيد حوي، الأساس في التفسير، الطبعة الثانية، (دار السلام، 1989م)، ص. 1194

سبيل الله، فهم لا يودون مساعدتكم، لا بنفسه ولا بمال، قيل بخلاء بالقتال، قيل بالنفقة على فقرائكم ومساكينكم، قيل أشحة بالغنائم.¹⁶

3 الحشر: 9

• ... وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

وفي هذه الآية وجد صيغة للشح بصيغة الإسم وهو شح، وسبب نزول الآية أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فبعث إلى نساءه، فقلن: ما معنا إلا الماء، من يضم أو يضيف هذا؟ فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله، فقالت ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيات طعامها وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها، فأطفأته فجعلها يريانه كأنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح عدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ضحك الله أو عجب من فعالكم. والمعنى ومن حفظوا أنفسهم من الحرص على المال والبخل به فأولئك الفائزون.¹⁷

¹⁶ محمد الأمين الهرزي، مرجع سابق، المجلد الثاني والعشرون، ص. 467

¹⁷ المرجع نفسه، المجلد التاسع والعشرون، ص. 117

4) التغابن: 16

• ... وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

وفي هذه الآية وجد صيغة للشح بصيغة الإسم وهو شح، تفسيرها { فاتقوا الله

ما استطعتم } يعني: إذا أمكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتننكم الميل إلى الأموال والأولاد

عن ذلك وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى: { اتقوا الله حق تقاته } وقوله: { وأنفقوا خيرا

لأنفسكم } أي: قدموا خيرا لأنفسكم من أموالكم { ومن يوق شح نفسه } بخلها

وحرصها حتى ينفق المال { فأولئك هم المفلحون } الفائزون بالخير.¹⁸

3 - عن كلمة الضن

1) التكوير: 24

• وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ.

في هذه الآية وجد صيغة الضن بصيغة الإسم، والمعنى ما محمد على ما يخبره من

الوحي إليه وغيره من الغيوب مما كان علمه غائبا عن أهل مكة ببخيل، أي لا يبخل

بالوحي فيزوي بعضه غير مبلغة، ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده عن أهله حتى

¹⁸ علي بن أحمد الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث، 2.12)، ص.

يأخذ أجرة، أو يسأل تدريسه فلا يعلمه، وفيه إشارة إلى أن إمساك العلم عن أهله

بخل.¹⁹

4 - معنى البخل والشح والضمن

كلمة البخل مشتقة من بَخَلَ يَبْخُلُ بَخْلاً وَبَخَالاً فهو باخل، كل ذلك في الأصل

يدل على المنع والإمساك، وأما معناه عند كلام العرب هو الانقباض عن إعطاء المال

بدون عوض ويقابله الجود، ولا يطلق على منع صاحب شيء غير مال أن ينتفع غيره

بشيء بدون مضرة عليه إلا مجازاً،²⁰ مثل قوله صلى الله عليه وسلم " البَخِيلُ الَّذِي مَنْ

دُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ (رواه الترميذي) "،²¹ وقال الجرجاني إن البخل هو المنع من

مال نفسه،²² وعند الأصفهاني أنه إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه سواء كانت

من نفسه أو غيره ويقابله الجود، يقال بخل فهو باخل، كل ذلك يدل على المنع

والإمساك، وأما البخيل فالذي يكثر منه البخل كالرحيم من الراحم.²³ ومن ثم، يضاف

المعنى الأساسي لكلمة البخل إلى المنع عن إعطاء المال ولا غيره إما من نفسه أو غيره.

¹⁹ محمد الأمين المرري، مرجع سابق، المجلد الحادي والثلاثون، ص. 153

²⁰ ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء الرابع، (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984)، ص. 182

²¹ الترميذي، سنن الترمذي، الطبعة الأولى (رياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع)، ص. 805

²² الجرجاني، التعريفات، (المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث، 2.12)، ص. 62

²³ الأصفهاني، معجم المفردات لألفاظ القرآن، (بيروت: دار الفكر، دون السنة)، ص. 35

وأما كلمة البخل في القرآن - كما سبقت بصيغة الفعل - فتشير إلى أفعال

المنافقين في المنع أو الإمساك عن إخراج الزكاة أو الإنفاق في سبيل الله، وقد اتفق

الجمهور على أن تلك الآيات المذكورة نزلت في المنافقين الذين يمنعون عن الزكاة والإنفاق

في سبيل الله، ولكن هناك عند ابن عباس ثلاث آيات [آل عمران: 180، النساء:

37، الحديد: 24] نزلت في اليهود الذين كتموا صفة رسول الله ونبوته، ومن ثم قال

بعض العلماء أن معنى البخل هنا البخل بالعلم.²⁴

انطلق الباحث في التحليل الدلالي من معنى البخل الأساسي وهو المنع عن

إعطاء المال، وإذا يضاف هذا المعنى إلى الآيات السابقة فكان المعنى الأول أولى وهذا

حقيقته، وأما بالنسبة إلى المعنى الثاني فهو مجاز بمعنى كتمان العلم.

وأما بالنسبة إلى سياق الكلام فالمعنى الأول أصح من الثاني، والتقدير في تفسير

سورة آل عمران "لا يحسبن البخلاء أن يُجْلَهُم أن يُجْلَهُم هو خير لهم، بل هو شرُّ لهم، لأن المال

يزول، ويبقى عقابُ بُجْلِهِم عليهم، لذا قال "سَيُطَوَّقُونَ مَا بَجَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" وكذلك

"وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ"،²⁵ يعني أن الله في الحقيقة لا يحتاج إلى مالهم، لأن أموال

الله أكثر من أموالهم بل بيده خزائن السموات والأرض".

²⁴ وهبة الزحيلي، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص. 507

²⁵ ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، الطبعة الأولى، الجزء السادس، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1998)،

وكيف بسورة النساء؟ يمكن الباحث يحلل من ناحية مناسبة الآية بالآية. لما ذم الله المقترين بقوله " الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ... " أتبعه ذم المسرفين المبذرين فقال " وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ " في هاتين الآيتين وزّع الله الذين لا يحسنون أقرابهم في بذل أموالهم إلى فريقين: فرقة يمنعون النفقة أصلاً، وفرقة يمنعون وصفها ويفعلونها رياء، فيعدمون بذلك روحها.²⁶ نظرا إلى ذلك، فإن معنى البخل بالمال أشد مطابقا بسياق الآية من معنى البخل بالعلم.

تأسيسا على ما سبق، استنتج الباحث على أن معنى البخل واشتقاقها في القرآن الكريم لا ينفك من معناه الأساسي وهو الانقباض عن إعطاء المال إما زكاة أو إنفاقا في سبيل الله، ولكن الإنفاق هنا واجب لأشد حاجة المؤمنين حينئذ إلى المال للغزو. لذلك قال القرطبي أن معنى البخل في الشرع هو الامتناع من أداء ما أوجب الله تعالى عليه.²⁷

وأما الشح مأخوذ من مادة "ش ح ح" وهو في الأصل يدل على المنع، ثم يكون منعا مع حرص. من ذلك الشح، وهو البخل مع حرص،²⁸ وبجانب ذلك وهو يطلق على معان كثيرة:

1 - قال ابن منظور، حرص النفس على ما ملكت وبُخْلِها به.²⁹

²⁶ البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الجزء الثاني، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1995)، ص. 257

²⁷ القرطبي، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص. 273

²⁸ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، الجزء الثاني، (دار الفكر: 1979م)، ص. 178

2 - ذكر الجوهري، يُراد به القلة والعسر؛ يقال: أرضٌ شَحَاحٌ: لا تسيل إلا من مطر

كثير.³⁰

3 - ذكر ابن فارس، يُراد به التسابق إلى الشيء والتنافس عليه، يقال: تشاح

الرجلان على الأمر، إذا أراد كل واحد منهما الفوز به ومنعه من صاحبه.³¹

4 - يُراد به المخاصمة والمجادلة، تقول: شاح فلاناً، أي خاصمه وماحكه.³²

والظاهر أن لا تعارض بين هذه المعاني وكلها تتضمن على المنع، فالشح: حرص

أو بخل يتلخص في المنع أو العطاء بقلّة، وربما يحمل على التنافس والمخاصمة أو المجادلة.

وأما كلمة الشح واشتقاقها في القرآن، فقد ذكرت خمس مرات³³، وكلها بصيغة

الاسم، فالأول لمصدر والثاني للصفة المشبهة باسم الفاعل. قال الغلاييني إن المصدر هو

اللفظ الدال على الحدّث، مُجَرِّدًا عن الزمان³⁴، وأما الصفة المشبهة باسم الفاعل فهي

صفة تؤخذ من الفعل اللازم، للدلالة على معنى قائم بالموصوف بما على وجه الثبوت، لا

على وجه الحدوث كحسن وكريم وصعب وأسود وأكحل.³⁵

²⁹ ابن منظور، *لسان العرب*، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، (بيروت: دار الصادر، دون سنة)، ص. 495

³⁰ الجوهري، *الصحاح في اللغة*، الطبعة الرابعة، الجزء الأول، (بيروت: دار العلم للملايين، 1990)، ص. 401

³¹ ابن فارس، مرجع سابق، ص. 178

³² إبراهيم مصطفى وآخرون، *معجم الوسيط*، الجزء الأول، (مصر: دار المعارف، 1982م)، ص. 474

³³ عبد الباقي، مرجع سابق، ص. 461

³⁴ الغلاييني، *جامع الدروس العربية*، الطبعة الأولى، الجزء الأول، (بيروت: المكتبة العصرية، 2005)، ص. 120

³⁵ المرجع نفسه، ص. 137

كلما استخدم الله تعالى كلمة الشح بصيغة اسم المصدر في القرآن فلا بد أن يضيف بها إلى "النفس" كقوله تعالى " وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [الحشر: 9، التغابن: 16]، و "وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ " [النساء: 128]، وهذا يشير إلى أن النفس هو مكان الشح أو أن الشح غريزة فيها. وجدير بالذكر، أن الإضافة باعتبار إلى تقديرها تنقسم إلى أربعة خصال وهي لامية وبيانية وظرفية وتشبيهية. فاللامية ما كانت على تقدير "اللام". وتفيد الملك أو الاختصاص نحو "هذا حصان علي". و "أخذت بلجام الفرس". والبيانية ما كانت على تقدير "من". وضابطها أن يكون المضاف إليه جنسا للمضاف، بحيث يكون المضاف بعضاً من المضاف إليه، نحو "هذا باب خشبٍ، والظرفية ما كانت على تقدير "في". وضابطها أن يكون المضاف إليه ظرفاً للمضاف. وتفيد زماناً للمضاف أو مكانه، نحو "سَهَرُ اللَّيْلِ مَضْنٍ وَقُعودُ الدَّارِ مُحْمِلٌ، والتشبيهية ما كانت على تقدير "كاف التشبيه". وضابطها أن يضاف المشبه به إلى المشبه، نحو "انْتَرْتَرُ لَوْلُوُ الدَّمْعِ عَلَى وَرْدِ الخُدُودِ" ،³⁶ وبالنسبة إلى قوله " وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ" ، فهذه الجملة يدخل في ضرب الأول، بأن الإضافة هناك تفيد الملك بتقدير "اللام".

³⁶ الغلابيني، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص. 550

وأما قوله تعالى "وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ" فإن الشح هنا يكون مفعولاً بـ "أحضرت" وأن كلمة "أحضرت" فعل ماضٍ لبناء المجهول وهي من الفعل الثلاثي المزيد بزيادة الهمزة على وزن أفعل، وهي مشتق من "حضر"، وجدير بالذكر أن "حضر" يتعدى إلى مفعول، واكتسب بالهمزة مفعولاً ثانياً، فلما بُني للمجهول، قام أحدهما مقام الفاعل، فانتصب الآخر، والقائم مقام الفاعل هنا يحتمل وجهين:³⁷

أولاً، وهو المشهور من مذاهب النحاة - : أنه الأول وهو "الأنفس" فإنه الفاعل في الأصل، إذ الأصل: "حضرت الأنفس الشُّحَّ"

ثانياً، أنه المفعول الثاني، والأصل: وحضر الشُّحُّ الأنفس، ثم أحضر الله الشُّحَّ الأنفس، فلما بُني الفعل للمفعول أقيم الثاني - وهو الأنفس - مقامَ الفاعل، فأخّر الأول وبقي منصوباً، وعلى هذا يجوز أن يقال: "أُعْطِي درهمٌ زَيْدًا" وكلامُ الزمخشري يحتمل كون الثاني هو القائم مقام الفاعل؛ فإنه قال: "ومعنى إحضار الأنفس الشُّحَّ: أن الشُّحَّ جُعِلَ حَاضِرًا لَهَا لَا يَغِيبُ عَنْهَا أَبَدًا وَلَا يَنْفِكُ".³⁸

نظراً إلى البيان السابق، فإن الشح بصيغة المصدر في القرآن يدل على أنه حالة غريزة جبل عليها الانسان فهو كالوصف اللازم له، ومركزها النفس، فمن بخل فقد أطاق

³⁷ ابن عقيل، شرح ابن عقيل، الطبعة العشرون، الجزء الثاني، (القاهرة: دار التراث، 1980)، ص. 124

³⁸ الزمخشري، الكشاف، الجزء الأول، (بيروت: دار الفكر، 2006م)، ص. 568

شحه، ومن لم يينخل فقد عصى شحه ووُقي شره، وذلك هو المفلح لذا قال تعالى "وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" أي أن من أخرج زكاته، وعفَّ عن المال الذي لا يحل له، فقد وقى شُحَّ نفسه.³⁹

وأما الشح بصيغة اسم الصفة المشبهة باسم الفاعل فقد ذكر مرتين في القرآن وهو في سورة الأحزاب: 19، ويتكلم سياق تلك الآية عن بعض أوصاف المنافقين في وقت الحرب. قال الصابوني إن المنافقين بخلاء على المسلمين بالمودة والشفقة والنصح لأنهم لا يريدون لهم الخير بل الشر.⁴⁰ وقال الزمخشري إنهم إذا ذهب الخوف عليهم وحيزت الغنائم ووقعت القسمة، نقلوا ذلك الشح وتلك الضنَّة على المسلمين إلى المال والغنيمة.⁴¹ وهذا دليل على أن المنافقين لن يهبوا ويعطوا المسلمين شيئاً ما عندهم من الأموال والعلم والعمل والتعاون بل أنهم يريدون أموال المسلمين من الغنيمة وهلاكهم ، ومن ثم يشير الشح هنا إلى معنى "البخل الشديد مع الحرص والطمع مما ينتفعه الناس من المال والعلم والعمل وغير ذلك".

³⁹ ابن منظور، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص. 495

⁴⁰ علي الصابوني، صفوة التفاسير، الطبعة الخامسة، الجزء الثاني، (بيروت: دار القلم، 1986م)، ص. 516

⁴¹ الزمخشري، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص. 255

وأما الضنّ مأخوذ من مادة "ض ن ن" وهو في الأصل يدل على معنى الإمساك

والبخل،⁴² في القرآن فقد ذكر مرة واحدة بصيغة اسم الصفة المشبهة باسم الفاعل في

قوله تعالى: " وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ " [التكوير: 24]. قال الصابوني إن المعنى

الضنين هنا بخيل فقال " وما محمد على الوحي ببخيل يقصر في تبليغه وتدريسه، بل يبلغ

رسالة ربه بكل أمانة وصدق.⁴³ وقيل أنه بمكتوم فالمقصود من الآية وما محمد بمكتوم لِمَا

أُوحِيَ إِلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ. وكلمة "على" في جملة "على الغيب" بمعنى "ب" حتى يمكن أن

يقال وَمَا هُوَ بِالْغَيْبِ بِضَنِينٍ كما قال تعالى " حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ "

[الأعراف: 105] أي حقيق بي. أو لتضمين "ضنين" معنى حريص، والحرص هو شدة

البخل، وما محمد بكاتم شيئاً من الغيب فما أخبركم به فهو عيّن ما أوحيناه إليه.⁴⁴

استخدم الله عز وجل معنى البخل بكلمة "ضنّ" لأن الضنّ أصلاً هو البخل

بشيء نفيس، وقد قيل علق مَضْنَةً ومَضْنَةً، وفلان ضني بين أصحابي، أي: هو النفيس

الذي أضن به.⁴⁵ وقد أُطلق على العلم أو ما أوحاه الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم

لأنه من شيع نفيس. فالعلم أهم من المال، لأن المال في نظر القرآن أكثر ضراراً لصاحبه

من نفعه، وقال تعالى " إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ " [التغابن: 15]

⁴² ابن عباد، المحيط في اللغة، الطبعة الأولى، الجزء التاسع، (بيروت: دار النشر، 1994م)، ص. 434

⁴³ علي الصابوني، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص. 526

⁴⁴ ابن عاشور، مرجع سابق، الجزء الثلاثون، ص. 162

⁴⁵ الأصفهاني، مرجع سابق، ص. 308

وأما العلم هو شيء نفيس آتاه الله الناس إذا أراد رفع درجاتهم، وقد فضّل الله أهل العلم على أهل العبادة، فقال تعالى " يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ " [المجادلة: 11] وقال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ " (رواه الترميذي).⁴⁶

من تلك البيانات، استنتج الباحث أن معنى "ضنين" في القرآن هو البخل بالعلم.

5 - المترادف والفروق بين كلمات البخل والشح والضمن في القرآن

هناك عدّة مقامات تدور حول كلمة "بخل" و"شح" و"ضمن" واشتقاقها في القرآن الكريم حتى يظهر منها شتى المعاني. وفي شكل عام، تتعلّق بعضها ببعض مترادفًا. تشير تلك الكلمات الثلاث إلى الإمساك والمنع.

وإضافة إلى ذلك، لكلّ منها معنى يمتاز بها. ويمكن أن يلاحظ الباحث الفروق

بين تلك الكلمات الثلاث فيما يلي:

1 - تدل كلمة البخل في القرآن إلى البخل بالمال فقط، وقد يكون البخل هنا بما في

يده أو غيره كما قوله تعالى الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ.

2 - تدل كلمة الشح في القرآن إلى معنيين: الأول أن الشح هو طبيعة الإنسان التي

خلقها الله في النفوس والتي تميل إلى الإمساك من إعطاء الشيء، والثاني البخل

⁴⁶ الترميذي، مرجع سابق، ص. 604

الشديد مع الحرص والطمع مما ينتفعه الناس من المال والعمل وغير ذلك إما في يده أو في يد غيره.

3 -أما كلمة الضنّ في القرآن تشير إلى البخل بما عنده من العلم.

تأكيداً وتوضيحاً للبحث عن نقطة الترادف والفروق بين الكلمات الثلاث،

فيمكن الباحث أن يستخدم التحليل الدلالي بنظرية الحقول الدلالية ونظرية التحليل التكويني كما سيأتي:

1) التحليل الدلالي بنظرية الحقول الدلالية

نظرية الحقول الدلالية كما ذكر فيما سبق تنظر إلى أن كل الكلمات لها مجال أو

حقل في المعنى، بل تعتمد أن المعاني لا توجد منعزلة الواحد دون الآخر في الذهن، بل

لا بد لإدراكها من ارتباط كل معنى منها بمعان أخرى، فهدف التحليل في ضوء هذه

النظرية الدلالية هو جمع كل الكلمات التي تخص مجالاً معيناً والكشف عن صلاتها، كل

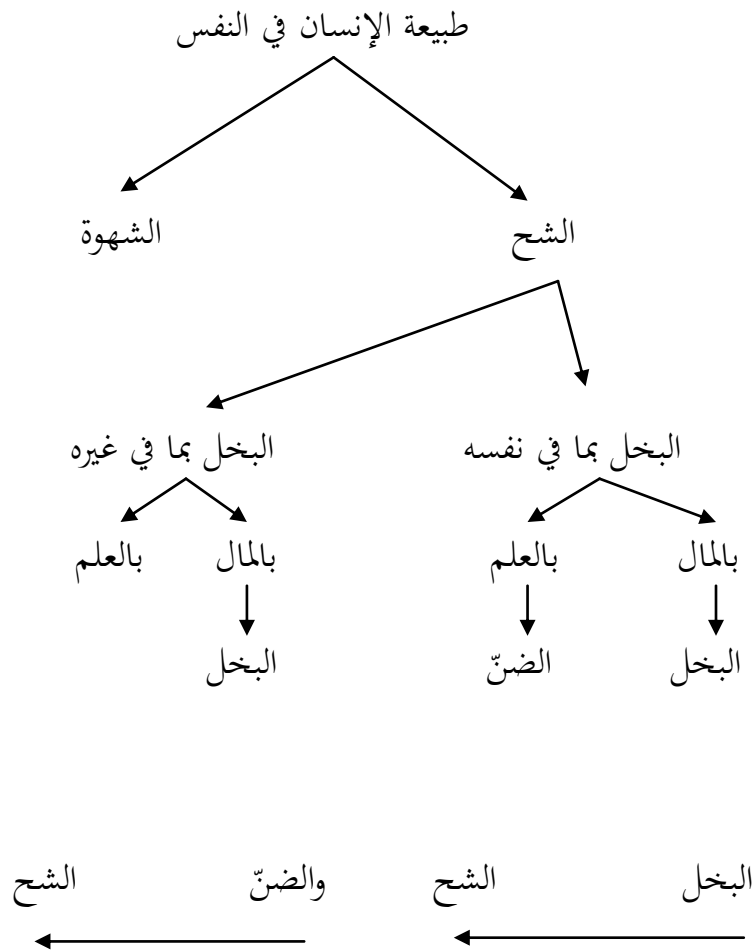
منها بغيرها، وصلاتها جميعاً باللفظ العام.⁴⁷

⁴⁷علاء إسماعيل الحمزاوي، *الأمثال العربية والأمثال العامية مقارنة دلالية*، (المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث، 2012)،

ولتحليل الكلمات الثلاث ابتدئ الباحث بأعم اللفظ من تلك الكلمات وهي

الشح، إن الشح في القرآن الكريم كما بيّنه الباحث هو طبيعة الإنسان التي خلقها الله في

النفوس كالشهوة، لذا فإن الشح يدعو إلى البخل والضمنّ. إن الرسم الآتي يوضح ذلك:



يوضح الرسم أن علاقة الشح بالبخل والضمن في هذه النظرية ليست بعلاقة

الترادف، فعلاقة بينها هي علاقة الاشتمال لكون البخل والضمنّ يتضمّان الشح، وأما

الشح فيكون أعلى منهما في التقسيم التصنيفي أو التفريعي.

2) التحليل الدلالي بنظرية التحليل التكويني

من إجراءات عملية هذه النظرية في تحليل الكلمة اختيار الكلمة المحددة وهي الكلمة الأكثر شمولاً وتسمح بتشخيص الكلمات الأخرى في المجموعة، وهذه الكلمة من تلك الكلمات الثلاث هي الشح. وجد الباحث أن كلمة الشح والبخل مؤلفتان من المكونات الدلالية التالية: +صفة مذمومة، +المنع، +ما في نفسه، +المال، وكلمة الضنّ مؤلفة من المكونات الدلالية التالية: +صفة مذمومة، +المنع، +ما في نفسه، - المال.

الضنّ	البخل	الشح	مكونات دلالية
+	+	+	صفة مذمومة
+	+	+	المنع
+	+	+	ما في نفسه
-	+	+	المال

من ذلك الجدول يجد الباحث أن البخل والشح متردبان لاتفاق كل المكونات الدلالية فيهما، وأما الضنّ لا يطلق ترادفا لعدم معنى المال في دلالاته. ولكن إذا أراد الباحث البحث عن نقطة الاختلاف بين كلمتي الشح والضنّ فيزيد الباحث مكونة دلالية أخرى تميز بينهما وهو العلم، فكان الشح مؤلفة من المكونات الدلالية التالية: +صفة مذمومة، +المنع، +ما في نفسه، +المال و +العلم، فالبخل مؤلفة من المكونات

الدلالية التالية: +صفة مدمومة، +المنع، +ما في نفسه، +المال و -العلم. ومن هذا يكون البخل غير مترادف بالشح، وكذلك الضنّ لها معانٍ متقاربة جدا بعضها على بعض.

وبعد التحليل الدلالي بنظرية الحقول الدلالية و التحليل التكويني، استنتج الباحث أن وقوع الترادف في الكلمة أمر معتذر، لكون كل الكلمات لها مجالا ومكونات كثيرة تتميز بعضها على بعض ، كما قال صاحب معجم أسماء الأشياء: نرى أن الترادف الكامل قليل جدا في اللغة العربية.⁴⁸

لكن بالنظر إلي أن المترادف لا يعني التشابه التام إنما أن يُقام لفظ مقام لفظٍ لمعانٍ متقاربة يجمعها معنى واحد، وأن قد يكون احد اللفظين أكثر عمومية أو شمولاً من الآخر أو يكون أحد اللفظين أكثر حدة من الآخر وقد يكون أحد المترادفين أجلى من الآخر فيكون شرحاً للآخر الخفي ، فكلمات البخل والشح والضمن من المترادفات، ومناسبا لذلك ما قاله السيوطي أن المترادف واقع في القرآن.⁴⁹

⁴⁸أحمد بن مصطفى الدمشقي، معجم أسماء الأشياء المسمى اللطائف في اللغة، (المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث،

2.12)، ص. 22

⁴⁹جلال الدين السيوطي، التبحير في علوم التفسير، الطبع الأول، (إدارة الشؤون الاسلام، 1995م)، ص. 389

ج العلاقة بين المترادف وأغراض تدريس اللغة العربية

كما قال محمود يونس، من أغراض تدريس اللغة العربية إيفهام الطلاب ما يتلونه من القرآن الكريم حتى يستفيدوا ما يتضمنه من مواعظه وأوامره وزواجره، من أجل ذلك، وجد الباحث العلاقة الوثيقة بين اللغة العربية والتحليل الدلالي حيث أنهما يهدفان إلى فهم القرآن. وذلك لأنهما آلتان ووسيلتان يترتبان إلى فهم القرآن. لأن علم الدلالي علم يبحث عن المعنى، إذا فهم القرآن حتى يستفيد ما يتضمنه من مواعظه وأوامره وزواجره لابد من دراسة المعنى.

وبالرغم من كثرة هدف تدريس اللغة العربية بحسب حاجة الناس إليها، فإن تدريس اللغة العربية كاللغة الأجنبية لا تنفك من دراسة المعنى. وذلك لأن المعنى هو الموضوع الأساسي، وبدون دراسة المعنى في تدريس اللغة الأجنبية فإنه سيكون صعوبة ومشكلة.

وأن هدف تدريس اللغة العربية قد تغير بحسب الظروف الموجودة أو الحاجة التي يفتقر إليها الناس، وقد كان هدف تدريس اللغة العربية في عصر صدر الإسلام أن يضيف إلى وظيفة اللغة العربية كلغة الدين فقط، حيث أن وظيفتها كآلة أو وسيلة لتفاهم تعاليم دين الإسلام، لأن مصدرها الأساسي هو القرآن والحديث. من أجل ذلك، فإن هدف تدريس اللغة العربية في هذا العصر هو مجرد فهم تعاليم دين الإسلام

التي كانت مكتوبة باللغة العربية. ولذا كان أغراض تدريس اللغة العربية في العصر القديم أكثر اهتماما بالهدف الاستقبالي من اهتمامها بالهدف الانتاجي.

والآن عرف الناس أن اللغة العربية ليس بلغة الدين فقط، لكن هي لغة الإتصال أيضا، وهي آلة للاتصالات بين الأمم والبلاد، وأن تكون وسيلة للاتصال بين الشعب والبلاد، بها اتصال الناس بينهم مناسبا لحاجتهم. ولذا الآن كان أغراض تدريس اللغة العربية أكثر اهتماما بالهدف الانتاجي أيضا.

وكما نعلم أن هدف الانتاجي يتعلق بمهارة الكلام، فالمتزادف هنا أمر مهم بين المتكلم والسامع في اتصال، وهي إفادة التفهيم في حق المتكلم واستفادة التفهيم في حق السامع.⁵⁰ مثلا إذا لم يعرف السامع كلمة، فيأتي المتكلم كلمة أخرى، وكذا عكسه. كما ورد من القصص والآثار ما روى أن رجلا كأبي هريرة لا يعرف كلمة السكين لأنه من قبيلة أزد فقد سقطت من يد النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعد أن كرر الرسول صلى الله عليه وسلم له القول ثانية وثالثة، ألمدية تريد؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم نعم.⁵¹

⁵⁰ محمد على التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، (المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث، 2.12)، ص. 685

⁵¹ أحمد بن مصطفى الدمشقي، مرجع سابق، ص. 16

من أجل ذلك، فلاغرو أن بين المترادف وأغراض تدريس اللغة العربية صلا ة وثيقة، حيث كان المترادف أمر من أمور مهمة لوصول إلى أغراض تدريس اللغة العربية. وكما نعلم في زماننا هذا أن كل شيء يحتاج إلى المال وغيره، ولذا الوصول إلى أغرض لابد من إخراجه. ولتحقيق ذلك يحتاج المدرسة أو الجامعة إلى مرافق جيدة، والمدرس يحتاج إلى وسائل الإعلام، والطلاب تحتاج إلى كتب وغير ذلك، كل ذلك لابد من إخراج المال وغيره.

ولذلك ينبغي للمدرس أن لا يقصد مجرد طلب الأجرة في نشر العلم، وللطلاب أن لاتأبى عن إخراج المال وغيره في طلب العلم، لما في القرآن أن الله ذم البخيل إما بماله أو بعلمه وغيرهما.